جامعة بنها
كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

الشخصيات التاريخية وغير التاريخية في مسرحية "أبطال المنصورة" إبراهيم رمزي

إعداد/

جهاد السيد عبد العزيز

إشراف/

أ.د/يحيى محمد نبوى خاطر
كلية الآداب –جامعة بنها

أ.د/ محمد أبو الفتوح العفيفي
كلية الآداب – جامعة المنوفية

المجلد ٦٤ ابريل ٢٠٢٥
https://jfab.journals.ekb.eg/

الملخص :

إن الشخصية هي العمود الفقري الذي يقوم عليه البناء الفني في المسرحية؛ فمن خلالها تتكون الأحداث وتتشابك وتتضح الرؤى، وقد أدرك كُتَّاب المسرحية أن التراث التاريخي مصدر غني يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه؛ لذا قام إبراهيم رمزي باستدعاء واقعة تاريخية شهيرة هي واقعة المنصورة، وقد اختارت الباحثة من الشخصيات التاريخية التي وظفها إبراهيم رمزي شخصية بيبرس التاريخية التي وظفها الكاتب توظيفًا فنيًا متكاملاً، بالإضافة إلى توظيف الكاتب لشخصيات غير التاريخية افتراضية متخيلة لا وجود لها في الواقع؛ حيث يلجأ الكاتب إلى الشخصيات غير التاريخية للتخلص من تبعات الوثيقة التاريخية، والتصرف بحرية في وضع الشخصية وتلفظاتها دون أي قيد مرجعي، فهي المساحة الإبداعية التي تمنح الكاتب القدرة على التعبير عن أفكاره بطريقة سلسة، وتُضفي على النصوص الموظّفة للشخصية التاريخية الواقعية مزيدًا من التلاحم، وإذا كان للأحداث الكبرى والأشخاص الكبار مَن يدوّن كل ما يتعلق بهم، فإن الصنّاع الحقيقيين للتاريخ غائبون في أغلب الأحيان، وهذا ما تحاول المسرحية التاريخية التصدي له، فمثل هؤلاء يحكون الحياة بكل ما تحمله من غنى وتعدد، ومن خلال هؤلاء نغادر القصور إلى الشوارع الخلفية، وفي مثل هذه الأمكنة نكتشف ونتعرف إلى الحياة التي كانت قائمة دون تزييف ودون فرض

الكلمات المفتاحية:

إبراهيم رمزي؛ الشخصيات؛ التاريخية ؛ غير التاريخية

المقدمة:

تُعد الشخصية هي العمود الفقري الذي يقوم عليه البناء الفني في المسرحية؛ فمن خلالها تتكون الأحداث وتتشابك وتتضح الرؤى، وقد أدرك كُتَّاب المسرحية أن التراث التاريخي مصدر غني يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه؛ لذا كثيرًا ما قاموا باستدعاء شخصيات تاريخية بغية توظيفها في بنية النص؛ وذلك لما تحمله من دلالات وإشارات تمنح النص المسرحي حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي؛ لأن هذه الشخصيات المستدعاة غالبًا ما يكون لها في الذهن والوجدان إيحاءات دلالية وعاطفية تفرض على القارئ نوعًا من التماهي معها، بالإضافة إلى توظيف الكاتب لشخصيات غير التاريخية افتراضية متخيلة لا وجود لها في الواقع، يلجأ إليها الكاتب للتخلص من تبعات الوثيقة التاريخية، والتصرف بحرية في وضع الشخصية وتلفظاتها دون أي قيد مرجعي، فهي المساحة الإبداعية التي تمنح الكاتب القدرة على التعبير عن أفكاره بطريقة سلسة، وتُضفي على النصوص الموظّفة للشخصية التاريخية الواقعية مزيدًا من التلاحم.

وتدور مسرحية **(أبطال المنصورة)** عام ١٩١٥م، حول غزو الفرنسيين لدمياط بقيادة لويس التاسع سنة ١٢٤٨هـ- ١٢٥١م، وتدور أحداثها حول وقوع دمياط في أيدي الفرنسيين دون مقاومة أو دفاع من أهلها؛ حيث تعرض الأمير فخر الدين لخدعتها دبرها لها طبيب القصر هبة الله، وبرنار لمعاونة الفرنسيين، ونفذت هذه الخطة مريم ربيبة برنار، وتستمر الأحداث وقد مات الملك الصالح نجم الدين أيوب، ورفضت شجرة الدر تسلم المُلك وأرسلت إلى تورنشاه، واتفقت مع الأمراء على

معاونتها في إخفاء خبر موت السلطان حتى يتم لهم النصر، وبالفعل قد تحقق لهم النصر بعد مناوشات عديدة دارت بين الفرنسيين والمصريين، وقد قُتل الأمير فخر الدين، وحاول هبة الله أكثر من محاولة لاختطاف الأميرة صفية أخت شجرة الدر؛ ليتزوج منها، لكن في النهاية يتحقق النصر، ويقع لويس التاسع في الأسر، ويفرج عنه في مقابل فدية، ويتسلم تورانشاه الحكم.

****

- الشخصيات التاريخية (شخصية "بيبرس"):

حدد إبراهيم رمزي صفات بيبرس الجسدية والتي تمثلت في "رجل فوق الثلاثين من العمر ربعة في الجسم بلا بدانة، أبيض الوجه مربعه أزرق لون الحدقة، له نظرة الأسد في وقار وكرم، وفي إحدى عينيه كسرة في مؤخرها تزيده في عين الناظر مهابة"(١).

وهذا الوصف لا يختلف كثيرًا عما ذكرته كُتب التاريخ عن بيبرس، فقد ذُكر أنه "طويل القامة، أسمر اللون، جهوري الصوت، أزرق العينين، في إحدى عينيه بقعة بيضاء صغيرة"(٢).

(١) إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، تقديم ودراسة إبراهيم دردير، وزارة الثقافة، المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، سلسلة تراث المسرح المصري (٨)، ص٢٩.

(٢) د.عماد الدين غانم: **الملك الظاهر بيبرس**، الهيئة العامة السورية للكتاب، سلسلة أعلام الناشئة، العدد٤، ٢٠١١م، ص١٠٠.

وبيبرس هو قائد المماليك البحرية المرابطين حول قصر الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو من أبناء الملوك قُتل أهله، وتم بيعه، فهو من أشراف القوم:

شجرة: **آهٍ يا توران لقدْ كانَ بيبرسُ وصحبِه أبناءَ ملوكٍ مثلكَ اتقِ اللهَ يا توران.. ألا تخشَى أنْ يصيبَك مَا أصابهمْ فتقتلْ أوْ تباعُ كمَا بيعُوا أبيكَ؟ ثمَّ لا تجدُ سيدًا مثلَ سيدهمْ لقدْ كانَ أوشك أنْ يصيبَكمْ منَ الفرنجةِ مَا أصابهمْ منَ المغولِ لولا همةُ بيبرسَ وصحبهُ**[1].

ووصفه إبراهيم رمزي بالقوة والشجاعة والاتزان؛ فأقطاي يرى فيه فارسًا مقدامًا لا يغضب إلا للحق:

أقطاي: **لمْ أجدْ فِي الدنيَا رجلاً يغضبُ للحقِّ غضبةَ بيبرس**[2].

ويرى فيه فخر الدين بن شيخ الشيوخ أنه أكبرهم همّة وأعزهم نفرًا:

فخر: **...إنَّهُ لأكبرنَا همةً وأعزنَا نفرًا**[3].

حتى عدوه برنار يشهد بشجاعته؛ فعندما يجد الملك لويس أخويه يقتتلان مع رجل، ويسأل مَن هو فإن برنار يخبره أنهما لا يقاتلان رجلاً بل يقاتلان أمة؛ فبيبرس في شجاعته يمثل أمة كاملة:

الملك: **مَا هذَا بواتيه ودارتوَا يقاتلانِ رجلاً!.**

(١) إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، مرجع سابق، ص٩١.

(٢) **المرجع سابق:** ص٣٧.

(٣) **المرجع سابق:** الصفحة نفسها.

برنـــــار: إنمَا يقاتلانِ أمةً أيهَا الملكُ، هذَا بيبرس البندقداريّ[١]

ويشهد له الملك لويس كذلك بشجاعته التي تجعله لا يشير بسيفه إلى أحد إلا وقتله، ولا يشرعه إلا والنفوس معلقة عليه:

الملك: كيفَ لا أصدقُ وكنتَ عندَ البحيرةِ لا تشيرُ بهِ إلى قاتلاً ولا تهوِى بهِ إلى أحدٍ

ويؤمن سهيل بمكانة بيبرس العظيمة عند السلطان نجم الدين أيوب ويوقن أن الأميرة صفية لو كانت بنتًا له لن يرفض زوجها من بيبرس؛ لأنه زعيم الأمة:

سهيل: ... لوْ كانتْ سيدتنَا صفيةَ بنتًا للسلطانِ مَا أباهَا عليهِ، إنهُ زعيمُ هذهِ الدولةِ ولا مِراء[٣].

وترى مريم في بيبرس نموذجًا لعنترة في شجاعته، وقدرته على مداهمة العدو ودحره:

مريم: ... لا يليقُ بعروسِ عنترةَ المصريينَ أنْ تكونَ إلا عبلةَ، هذَا يومُ بيبرسَ يَا سيدتِي، سيلتقِي بهمْ فيفنِى جموعهمْ، وتضعُ الحربُ أوزارَها ويعودُ البك باسمًا[٤].

وكذلك شجرة الدر تجد فيه البطل الشجاع؛ فهو عين أبطال مصر:

مريم: هذَا أنتَ يا بيبرسُ، هذَا ركنُ الدينِ، هذَا عينُ أبطالِ مصرَ[١].

---

(١) **المرجع سابق:** ص٦١.

(٢) **المرجع سابق:** ص٦٤.

(٣) **المرجع سابق:** ص٦٧، ٦٨.

(٤) **المرجع سابق:** ص٧٤.

وهكذا أجمعت شخصيات المسرحية على أن بيبرس شخصية قوية حازمة متزنة لا يغضب إلا للحق، ولا يتوانى عن حماية المستغيث، ونصرة الضعيف، ويتوافق كذلك مع صفات بيبرس في كتب التاريخ التي وصفته بأنه امتاز بشجاعته وعدالته، وقد ظهرت هذه الشجاعة في جميع أدوار حياته المختلفة في القيادة والملك، فأيام كان قائدًا ظهرت شجاعته في كثير من المواقع الحربية، وخاصة موقفه إزاء الصليبيين في موقعة المنصورة التي انتهت بانتصار المصريين على الصليبيين، وعُرف عنه كذلك تميزه بالحكمة والخضوع لأحكام الشريعة الغرّاء، وتقديس فرائضها؛ فهو ملك عظيم، وقائد محنك، وسياسي ماهر، وكان شهمًا شجاعًا لا يهاب الموت، بالإضافة إلى همته العالية[٢].

ويظهر بيبرس في صورة الفارس الذي لا يقبل الهزيمة أمام الأعداء؛ لذا نجده يغلظ القول نتيجة تصرف فخر الدين بن شيخ الشيوخ و تركه دمياط يتسلمها الفرنج دون عناء:

---

(١) **المرجع سابق:** ص٨٩.

(٢) ينظر:

- محمد جمال الدين سرور: **الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره**، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨م، ص١٧١ وما بعدها.
- د.عماد الدين غانم: **الملك الظاهر بيبرس**، مرجع سابق، ص١٠٠.

بيبرس: لوْ أنَّ أنثَى قدْ تولتِ الدفاعَ عنْ دمياطَ وهيَ فِي حصونِها التّي أقامهَا الصليبيونَ منذُ ثلاثينَ عامًا، وتحتَ إمرتِها منَ الرجالِ مَا كانَ تحتَ إمرةِ هذَا الأميرِ منْ بنِي كنانةَ والمماليكِ البحريةِ، وبينَ يديهَا منَ المؤونةِ والذخيرةِ والعدةِ والسلاحِ مِا كانَ بينَ يديهِ، لاستعصتْ على [illegible] (١)

وتظهر شجاعته كذلك حينما يقسم على أن يطهر البلاد من دنس الفرنج وأن يحرر الأميرة صفية من أيديهم أو أن يُقتل دونها:

بيبرس: ويلٌ لهاتكِ حجابَ المؤمناتِ! أمَا وهذَا السيفِ الذِي لا يعرفُ فِي الحقِّ لومةً ولا

للبغاةِ حرمةً لأطهرنّ البلادَ منهمْ أوْ لأغمدنهُ فِي صدرِي ولآتينكِ بأختكِ

ويشير بيبرس كذلك إلى أنه لا يخشى شيئًا ولا يأبه للأهوال عندما يسأله الملك لويس عن سبب مجيئه إلى دمياط وحده:

الملك: ماذَا جاءَ بكَ إلينَا وحدكَ؟ إنَّ مخيمنَا علَى مرمَى السهمِ منكَ

بيبرس: مَنْ كانَ معهُ مثلَ سيفِي وقلبِي لا يستكثرُ الرجالَ ولا يأبهَ للأهوالِ(٣).

وتتضح رجاحة عقل بيبرس عندما يقترح ضرورة من كتمان نبأ موت السلطان نجم الدين أيوب، وأن يرسلوا سرًا إلى توران شاه؛ ليتولى الحكم بعد أبيه:

---

(١) **المرجع سابق:** ص٣٥.

(٢) **المرجع سابق:** ص٤٤.

(٣) **المرجع سابق:** ص٦١.

بيبرس: وما دامتْ مولاتنَا لا ترَى رأيّ أقطايَ فلنبعثْ بأحدِنَا الليلةَ إلى ديارِ بكرٍ سرًا، ولـيكنْ أقطايَ نفسَه، إلِى الأميرِ تورانَ شاه بن السلطانِ الكريمِ يخبرُه بالنبأِ المشئومِ ويأتِي بهِ إلَى مصرَ لتولَى شئونَ الدولةِ بعدَ أبيهِ(١).

وتظهر رجاحة عقله كذلك حينما يعرض على شجرة الدر أن تترك القصر؛ لأنهم قد قتلوا وأسروا الكثير من الفرنج وقد يصل بهم الأمر أن يدهموا القصر يائسين ويأسروا شجرة الدر التي تمثل في نظره أكبر حرماتهم: الدين والعرض، وتستجيب شجرة الدر لرأيه وتترك قصرها:

بيبرس: وقدْ اجتمعَ لمولاتنَا أدامهَا اللهُ آياتِ ديننَا وجلالِ سلطاننَا، لذلكَ رأينَا نقلكِ إلى دارِ الأميرِ فخرَ الدينِ هذهِ، حتَّى إذَا قدرَ لهمْ أنْ يدهمُوا القصرَ كنتِ فِي مأمنٍ منْ أذاهمْ وأعملنَا فيهمْ السيوفَ فِي رقابِهم(٢).

ويكشف بيبرس عن صفاء نفسه واعترافه بالجميل عندما يقترح أن ولاية العهد تكون لتوران شاه أما الأتابكة فتكون لفخر الدين بن شيخ الشيوخ:

بيبرس: بلْ لكَ أنتَ يَا فخرَ الدينِ، إنكَ لكبيرُنَا وعمادُنَا علَى كلِّ حالٍ ومَا الأتابكةُ إلا

لكنه يستنكر أفعال توران شاه عندما يراه ينفرد برأيه، ويطلب منه أنه إذا أراد أن يكون سلطانًا لمصر فعليه بالأخذ بالشورى:

---

(١) **المرجع سابق:** ص٤١.

(٢) **المرجع سابق:** ص٦٩.

(٣) **المرجع سابق:** ص٤٢.

بيبرس: استمعْ لِي يَا توران إذَا شئتَ أنْ تعيشَ بيننَا سلطانًا علينَا فليسَ لكَ إلا الشورَى والرأىّ للجماعةِ[١].

ويستنكر على توران شاه كذلك إهانته لشجرة الدر، ويعترف بفضلها ودورها الذي بذلته من أجل حماية البلاد من خطر الفرنج، وعندما يعاهده توران شاه على أن يكونوا أخوانًا يرفض بيبرس قبل أن يسترضي شجرة الدر التي تسبب توران شاه في إهانتها:

بيبرس: ولكنَّا لا نرضَى بهذَا العهدِ حتَّى تسترضِي مولاتُنَا شجرةُ الدرِّ علَى مَا لقيتْ منكَ منْ صنوفِ الإهانةِ قبلَ مقدمنَا[٢].

ويتصرف بيبرس تصرف ملك خبير بإدرة أمور الدولة وشئونها؛ إذ يطلب من توران شاه أنه إذا دخل عليه الملك لويس أسيرًا فإنه يجب عليه أن يستقبله استقبال الملوك، وإذا ذكرت الفدية عليه أن ينتقص منها؛ لأنه لا يهم إلا الثناء، وعندما يودعه كذلك فليودعه وداع الملوك:

بيبرس: والآنَ فاعلمْ أيهَا السلطانُ أننَا جئنَا بملكِ الفرنسيسَ منَ المنصورةِ نودعهُ، واتفقنَا معهُ أنْ تكونَ الديةُ خمسمائةُ ألفَ دينارٍ نصفُها برهنِ أخيهِ بواتيه حتَّى يصلَ إلَى دمياطَ والنصفُ الآخرُ بوعدٍ منهُ، فاقتلهُ وإذَا دخلَ عليكَ فأذنْ لهُ بالجلوسِ، هذَا أليقُ بكرامتِنَا، وإذَا ذُكرتِ الديةُ

(١) **المرجع سابق**: ص٩٥.

(٢) **المرجع سابق**: ص٩٥.

(٣) **المرجع سابق**: ص٩٧.

وقد أضاف إبراهيم رمزي على شخصية بيبرس الفارس جانبًا إنسانيًا مما جعله شخصية مكتملة الجوانب، فهو قائد محارب مقدام، وإنسان يعاني من الضعف البشري الذي ينتاب البشر جميعهم(١)، ويتمثل هذا الجانب الإنساني في حبه للأميرة صفية أخت شجرة الدر:

بيبرس: **إنكِ لتعلمين أنِّي لا أطيقُ أنْ أتمثلَ لنفسِي أختًا فِي الدينِ والوطنِ أسيرةً حتَّى أنقذَهَا فمَا بالكِ يا عصمةَ الدينِ بالفتاةِ التِّي علقتْ بهَا نفسِي وعلقتْ بِي نفسهَا؟ أمَا واللهِ لوْ كانَ فوقَ الروحِ فداءٌ لفديتُها، فاعذرِي يَا سيدتِي وتوكلِي على الله**(٢).

يظهر بيبرس في صورته الإنسانية المحبّة للأميرة صفية التي باتتت تشغله أثناء مداهمة للأعداء، فطيفها ماثل أمامه ليل نهار لا يمنعه عن الزواج منها إلا حربهم مع الأعداء:

بيبرس: **لمْ أجدْ لِي منْ زمانِي ساعةً للتفكيرِ فِي مساومةِ القومِ عنْ أنفسهمْ حتَّى يبدُو لِي طيفَ صفيةَ ماثلاً فيشغلنِي بهاؤُه عنِ القيامِ إلى الأعداءِ: وكأنمَا أوثرُ أنْ تنقضِي الحياةُ فِي مثلِ هذَا الحلمِ الشهيّ فَلا ينصرفُ عنكِ خاطرِي حتَّى يصرفُ الطيفُ عنِّي ناشدَ منْ أمرائِي**(٣).

(١) يراجع: د.محمد مندور: **المسرح النثري**، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩م، ص٤٣، ٤٤.

(٢) إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، مرجع سابق، ص٣٨.

(٣) **المرجع سابق:** ص٧٢، ٧٣.

لكن بيبرس رغم حبه الشديد للأميرة صفية فإنه يقدم واجبه الوطني على حبه؛ لذا فهو يؤجل ارتباطتهما حتى تتحرر مصر من الفرنج، وقد تركها إعلانًا للجهاد عندما علم بدخولهم المنصورة:

بيبرس: **سأعودُ إليكِ عمَّا قريبٍ، لا تجزعِي، خدرك يا كلَّ المنَى، إنِّي ذاهبٌ الآنَ إلَى القصرِ فَلا يفوتنِي أوْ أرقبكِ، روحِي لكِ فداءً يا صفيةُ، ولكنَّ اليومَ يومِي فإنْ كانَ عليّ فهوُ علَى مصرَ كلهَا وإنْ كانَ لِي فهوَ لمصرَ كلهَا، الوداعُ: زودينِي بدعواتكِ**[١].

******

• الشخصيات غير التاريخية:

حدد إبراهيم رمزي في بداية مسرحيته أربع شخصيات غير التاريخية سمح لها بالتدخل في سير الأحداث في نطاق الممكنات[٢]، وهي: هبة الله، والشيخ برنار، ومريم (عائشة)، ومسعود.

❖ شخصية (هبة الله):

وصفه إبراهيم رمزي بأنه "رجل قصير القامة، مستطيل الوجه أسمره نوعًا ما، ذو عينين واسعتين، وحاجبه مقوس قليلاً، يحكم من يراه أنه ممن يتعمقون في بحث

الأمور العادية التي تتكشف لأول وهلة، وذلك لما طبع عليه من الارتياب والتشوش الذهني على شيء من الغرور، وتقصي الآمال الكاذبة"[١].

(١) **المرجع سابق:** ص٧٣.

(٢) ينظر: د.محمد مندور: **المسرح النثري**، مرجع سابق، ص٤٢.

اسمه الحقيقي فيليب، هو طبيب فرنسي الأصل رُبى في مصر، وقد وقع في الأسر في يد الملك موسى عم السلطان نجم الدين أيوب، وكان دون العاشرة من عمره، وكان أبوه طبيبًا مات في الأسر، وانتقل فيليب الغلام الصغير للعيش في بيت الملك عيسى عم السلطان نجم الدين أيوب أيضًا، وقد تعلم الطب من أبيه، وعاش في مصر، وعمل طبيبًا للسلطان نجم الدين أيوب:

برنار: لمْ يكنْ جنديًا ولكنَّ أباهُ كانَ طبيبًا ولمْ يكنْ لهُ منَ الدنيَا إلا فيليبَ هذَا. فلمَّا أتَى فِي ركابِ الأميرِ استصحبُه معهُ وماتَ الرجلُ فِي الأسرِ وظلَّ الغلامُ فِي بيتِ عيسَى حتَّى عادَ إلى مصرَ وكانَ قدْ عرفَ منَ الطبِّ شيئًا كثيرًا فنشأَ طبيبًا كأبيهِ[٢].

قدّم إبراهيم رمزي شخصية (هبة الله) في دور الدسيسة على المسلمين، وقد جعل أصله الفرنسي مبررًا لذلك، وقد استخدمه الكاتب عنصرًا دراميًا هامًا في تحريك أحداث المسرحية، وإعداد المفاجآت وإثارة التشويق؛ إذ يرى هبة الله في نفسه ملكًا متوجًا، مما يدفعه إلى منافسة بيبرس في حبه للأميرة صفية أخت شجرة الدر[٣]، وقد خطبها لنفسه أكثر من يرى:

---

(١) إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) **المرجع سابق:** ص٤٦.

(٣) ينظر: د.محمد مندور: **المسرح النثري**، مرجع سابق، ص٤٢.

هبــة: **... لماذَا لا تكونُ هذهِ الفتاةُ عروسًا لِي أفأنَا أدنَى منهَا محتدًا ونسبًا؟ لماذَا لا يكونُ لِي فِي هذهِ الدولةِ فوقَ مَا بلغتُ! أأنَا أقلُّ منْ قومِهَا فضلاً وحسبًا؟ لابدَّ منهَا، إنِّي أحبُّهَا. أريدُهَا لنفسِي. هذهِ أولُ المنَى وآخرهَا[١].**

ويشك أقطاي ومحسن في أمر هذا الطبيب؛ فهم لا يثقون به؛ لأنهم يعلمون أن أصله ليس عربي:

أقطاي: **لعمري ما تنصفون إذ تدخلون هذا الطبيب على السلطان. أم نسيتم أنه ابن صليبي قتلناه[٢]؟**

ومحسن لا يظن به الخير فهو يشكك في قدرته على علاج السلطان نجم الدين أيوب، ويرى أنه ينقل الأخبار إلى الفرنسيين أهله الأقدمين، ويشك كذلك في أنه يعلم خبرًا عن اختفاء الأميرة صفية:

محسن: **سله ماذا فعل مرهمه بمولاك؟ وأي خبر من أخبار القصر يحمله إلى أهله الأقدمين؟ وسله كذلك أين تنزل الأميرة صفية؟ فإذا وصلت إليها فاقرأ الفاتحة على روحها[٣].**

وتستمر أحداث المسرحية حتى ينكشف أمره، ويعلمون حقيقته، وأنه السبب في تدبير العديد من المكائد التي وقعت بهم، وقد حاول غير مرة اختطاف الأميرة صفية، وبعد أن يتبينوا حقيقته ينقض عليه بيبرس فيقتله:

---

(١) إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) **المرجع سابق:** ص٣٠.

(٣) **المرجع سابق:** الصفحة نفسها.

صفية: لقدْ اختطفنِي مخدرةً منْ منزلِ الأميرِ فخرِ الدينِ
بيبرس: إذنْ فلأختطفنَ روحَه بيدِي[١]

****

❖ شخصية (الشيخ برنار):

وصفه الكاتب بأنه "رجل في السبعين من عمره لم تقوس ظهره السنون إلا قليلاً، ولكنه أبيض شعر الرأس واللحية والشارب، لباسه لباس فلاح فرنسي متمصر"[٢]، وهو صاحب عزبة بناحية فارسكور، ويشترك مع "هبة الله" في أنهما فرنسين الأصل:

برنـــار: كَلا. يَا ابنتِي إننِي فرنسِيّ، كنتُ جنديًا فِي جيشِ الأميرِ يوحنَا دوبريَان الذِّي نزلَ بدمياطَ منذُ ثلاثينَ سنةٍ وكنتُ قبلهَا خادمًا فِي قصرِ أمِّ ملكِ فرنسَا لويسَ العظيمِ نفسِه. فلمَّا دارتْ الدائرةُ علينَا فِي فارسكورَ هذهِ وقعتُ أسيرًا فِي قبضةِ الملكِ عيسَى عمِّ هذَا السلطانِ[٣].

وقد استخدمه الكاتب كوسيلة لإظهار أن المسلمين لم يفقدوا دمياط إلا بالمكر والخديعة، وذلك بسبب الخدعة التي دبرها، ونفذتها مريم[٤]؛ مما أدى إلى وقوع دمياط في أيدي الفرنسيين دون مقاومة:

---

(١) **المرجع سابق:** ص١٠٦.
(٢) **المرجع سابق:** ص٤٥.
(٣) **المرجع سابق:** ص٤٦.
(٤) ينظر: د.محمد مندور: **المسرح النثري**، مرجع سابق، ص٤٢.

برنار: **فإنِّي استطعتُ بلا سيفٍ ولا قتالٍ أنْ أفتحَ دمياطَ وأجعلَ طريقَ المنصورةِ مفتوحةً لهمْ، فإذَا امتلكوهَا لمْ يبقَ أمامهُمْ إلا قلعةَ الجبلِ، ومثلهَا لا يعزُّ علَى الملكِ لويسَ، وعندئذٍ أكونُ قدْ انتقمتُ لقومِي ولنفسِي ثمَّ أرجعُ معهمْ إلى فرنسَا وأتركُ هذهِ البلادُ جميعهَا**(١).

وقد انتهى أمره بالوقوع في الأسر وقتله على يد "هبة الله"؛ لأنه الشخص الوحيد الذي كان يعلم أسراره؛ فقلته خشية أن يفضح أمره أمام المسلمين:

شجرة: **قتلهُ! ألمْ أرسلْ هبةَ اللهِ الطبيبَ إليهِ ليكفَّ يدهُ عنهُ حتَّى أراهُ!**

سهيل: **بلَى ولكنَّه قُتلَ بأمرِ هبةُ اللهِ نفسُه يَا مولاتِي**(٢).

***

شخصية مريم (عائشة):

عائشة أو مريم كما سماها هبة الله بعد أن اختطفها من والدها أقطاي؛ انتقامًا من أمها التي رفضت الزواج منه، وقد أصبحت في السادسة عشرة من عمرها، تعيش في عزبة برنار:

برنار: **بلْ عائشةَ التِي سميتُهَا مريمَ، بنتُ الفارسِ أقطَاي الجمدارِي التِّي حملكَ سخطكَ علَى أمِّهَا ومقتُك لأبيهَا وجنونَك أنْ تخطفَ ابنتَهَا منْ مهدِهَا وتأتِي بهَا إليّ لتحرقَ قلبَهَا عليهَا آهٍ يَا لئيم، إنَّ رسالتَك لا تزالُ معِي**(٣).

(١) إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، مرجع سابق، ص٤٧.

(٢) **المرجع سابق:** ص٨٦.

(٣) **المرجع سابق:** ص٥٢.

وهي الشخصية الثانية التي اعتمد عليها إبراهيم رمزي؛ لإظهار الخدعة التي تسلم بها الفرنسيون دمياط بلا حرب أو قتال؛ إذ خدعت الأمير فخر الدين بأن الفرنسيين نزلوا فارسكور، وطلبت منه أن ينقذ أهلها، ولما تبعها اكتشف أنها لم تكن الخدعة، وترك الفرصة سانحة للفرنسيين أن ينزلوا دمياط دون عناء:

فخـــر: **...لمَّا جاءَت مراكبُ الفرنسيسِ إلَى برِّ دمياطَ جاءتنِي فتاةٌ تلهثُ منَ الركضِ وهيَ تبكِي وتنتحبُ، تقولُ: أنقذنَا. أنجدنَا. أنقذْ أبِي وأمِّي وأهلِي. إنَّ الفرنسيسَ نزلُوا بفارسكورَ، فزعمتْ أنَّ الفرنسيسَ أرادُوا هذهِ المرةَ أنْ يأخذونَا منْ كلِّ الجهاتِ ... ولكنِّي لمْ أجدْ أثرًا لمَا قالتْ تلكَ الفتاةُ الخائنةُ وكذلكَ نزلَ الفرنسيسُ بدمياطَ بغيرِ قتالٍ**[1].

وبعد أن يقتتل عليها بواتيه ودارتوا، وترى أن برنار مستعد لتسليمها لهما؛ فإنهما تستنجد ببيبرس، وتنتقل معه إلى العيش في قصر الأمير فخر الدين، وتعلن إسلامها:

مـــريم: **لمْ تعدْ بِي حاجةٌ إليكمْ أيهَا القومُ، وأشهدُ اللهمَّ أنِّي فِي المسلمينَ سأذهبُ معكَ يا بيبرسُ فَلا تتركنِي.**

بيبرس: **لا يخيّبُ بيبرسُ رجاءَ مستغيثٍ**[2].

وفي النهاية تتكشف الحقيقة، ويعلم أقطاي أن هذه الفتاة هي ابنته التي اختطفها هبة الله:

مـــريم: **أينَ أبِي يا قاسِي الفؤادِ؟ قلْ لِي أينَ أبِي؟**

([1]) **المرجع سابق:** ص٣٨.

([2]) **المرجع سابق:** ص٦٥.

أقطـاي: أنَا أبوكِ يا مريمُ! تعالِى يَا عائشةُ. تعالِي! تعالِي!
مـــريم: أنتَ أبِي؟
بيبرس: أجَل أبوكِ يا مريمُ. أبوكِ!
مـــريم: أبِي! وافرحتَاه!
أقطاي: تعالِي يا بنيتِي[١]

****

شخصية (مسعود):

هو عبد بيبرس، وقد منحه إبراهيم رمزي مساحة صغيرة في المسرحية فلم يظهر إلا في موقف واحد ليلة اشتباك بيبرس مع بواتيه ودارتواه؛ لإنقاذ الأميرة صفية ليلة فارسكور، فكان مساعدًا لبيبرس:

مسعود: يَا غارةَ اللهِ
صـفية: بيبرسُ! بيبرسُ! لا تتركنِي.
بيبرس: ارجعْ يا مسعودُ.
صفية: احضرْ الجوادَ يا مسعودُ[٢].

وقد استخدمه الكاتب لإظهار المكانة التي قد وصل إليها بيبرس؛ إذ أصبح له عبيد ومماليك بعد أن كان مملوكًا[٣].

*****

(١) **المرجع سابق:** ص١٠٥.
(٢) **المرجع سابق:** ص٦٦.
(٣) ينظر: د.محمد مندور: **المسرح النثري**، مرجع سابق، ص٤٢.

-نتائج الدراسة:

١. نشعر من خلال تقديم إبراهيم رمزي لشخصية بيبرس بأنه قد درس تاريخها دارسة عميقة مفصلة، وقد نفذ إلى أبعادها الظاهرة والخفية؛ فتمكن من تصويرها أصدق تصوير(١).

٢. تحقق الشخصات غير التاريخية جذب المتلقي إلى العمل الدرامي؛ حيث يفترض أن المتلقي عالمًا بالواقعة أو الشخصية التاريخية، لكنه ينتظر من المؤلف أن يضيف إليه شيئًا جديدًا يجذبه من خلاله إلى عمله الإبداعي.

٣. تمكن إبراهيم رمزي من خلال شخصياته غير التاريخية من تحقيق هدفه الذي سعى إليه وهو جذب المتلقي إلى معرفة التاريخ الإسلامي بطريقة مبتكرة مغايرة فيقول: "من أجل هذا شرعت في وضع هذه السلسلة القصصية؛ لأعرف معالم تاريخ الإسلام إلى من لا يعرفونه أو لا يجدون الوسيلة ولا الزمن إلى مطالعته، أو لمن عندهم كل هذا ثم يهملونه؛ إذ هو علم، ولا يهملونه؛ إذ هو قصص"(٢).

.....

(١) يراجع: **المرجع سابق:** ص٤٣، ٤٤.

(٢) إبراهيم رمزي: **باب القمر**، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م، ص١٦.

Abstract:

The character is the backbone on which the artistic structure of the play is based. Through it, events are formed, intertwined, and visions become clear. The play's writers have realized that historical heritage is a rich source that they must not do without. Therefore, Ibrahim Ramzy recalled a famous historical incident, which is the Mansoura incident. From the historical figures employed by Ibrahim Ramzy, the researcher chose the historical character Baybars, whom the writer employed in a comprehensive artistic manner. In addition to the writer's employment of imaginary, hypothetical, non-historical characters that do not exist in reality; Where the writer resorts to non-historical characters to get rid of the consequences of the historical document, and to act freely in the position of the character and his expressions without any reference restriction. The creative space that gives the writer the ability to express his ideas in a smooth manner, and gives the texts employing the realistic historical figure more cohesion, and if major events and major people have someone to write down everything related to them The true makers of history are often absent, and this is what the historical play tries to address. Such people tell life with all its richness and multiplicity, and through them we leave the palaces for the back streets, and in such places we discover and learn about the life that existed without falsification. And without imposing.

Keywords:

Ibrahim Ramzy - Historical characters - Non-Historical characters - Heroes of Mansour

• قائمة المصادر والمراجع:

١. إبراهيم رمزي: **باب القمر**، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.

٢. إبراهيم رمزي: **أبطال المنصورة**، تقديم ودراسة إبراهيم دردير، وزارة الثقافة، المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، سلسلة تراث المسرح المصري.

٣. د.عماد الدين غانم: **الملك الظاهر بيبرس**، الهيئة العامة السورية للكتاب، سلسلة أعلام الناشئة، العدد٤، ٢٠١١م.

٤. محمد جمال الدين سرور: **الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره**، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨م.

د.محمد مندور: **المسرح النثري**، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩م.

*****